eISSN: 2600-7096
V.6, Special Issue. 2, July 2022

DIALOGUE OF THE PEOPLE OF HELLFIRE IN THE HEREAFTER: A THEMATIC ANALYSIS STUDY

Abdullah bin Hussein bin Mohammed Al-Amoudi
Associate Professor of Tafsīr and Sciences of al Qur'ān, Department of Qur'ān and Sunnah, Faculty of Da`wah and Usuleddi, Umm Al-Qura University
E-mail: al-amoudi3000@hotmail.com

ABSTRACT

This research deals with the explanatory study of the verses of the noble Qur'ān that talked about the dialogue of the people of Hellfire in the Hereafter. The research seeks to define the dialogue, to clarify the difference between it and its synonyms mentioned in the noble Qur'ān and to Study this topic thematicly by showing its guidances and highlighting its meanings. The research problem that the researcher aims to study is: highlighting the Quranic guidance and the linguistic eloquence gaind from the noble verses. By employing the inductive and analytical aproaches. The research reached the following findings: (1) The dialogues of the Hereafter are strong in themselves, eloquente in their words and wonderful in their metafors and meanings; (2) The dialogue of the people of Hellfire in the Hereafter bears the character of reprimand, heartbreak, remorse and revenge against each other; which is kind of moral punishment in the Hellfire, in addition to the several kinds of a physicals punishment; (3) Showing the dialogue of the people of Hellfire in the Hereafter; leads to avoid the reasons of falling in the Hellfire and to take precautions of salvation; to be amongst the happyiest people in the Hereafter.

Keywords*:* Dialogue, People of Hellfire, Hereafter, Guidance

حوار أهل النار في دار القرار: دراسة موضوعية

عبدالله بن حسين بن محمد العمودي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الكتاب والسنة،كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة التفسيرية الآيات الكريمة التي تحدثت عن حوار أهل النار في دار القرار في عِدَّة مواضع من كتاب الله عَزَّ وجل. ويهدف البحث إلى: تعريف الحوار وبيان الفرق بينه وبين مرادفاته الواردة في القرآن الكريم ، دراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية بإظهار هداياته وإبراز دلالاته. ومشكلة البحث التي يهدف الباحث إلى دراستها هي: إبراز ما تضمنته الآيات الكريمة من هدايات قرآنية ودلالات بيانية ،وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسلك في إعداده المنهج الاستقرائي التحليلي وفق الإجراءات المبينة في المقدمة. ومن أبرز نتائج البحث: حوارات الآخرة قوية بذاتها وجزيلة بألفاظها وبديعة بصورها ومعانيها، حوار أهل النار في دار القرار يحمل طابع التوبيخ والتقريع، والحسرة والندامة، والتشفي وانتقام بعضهم من بعض، وهو من صور العذاب المعنوي لهم في النار، بالإضافة إلى عذابهم بألوان العذاب الحسي، هداية القرآن الكريم للتي هي أقوم، ومن صور هذه الهداية: إيراد حوارات أهل النار في دار القرار؛ ليستبين أهل العقول والإيمان بأسباب عذاب أولئك الأشقياء، فيأخذوا بأسباب نجاتهم ليكونوا من الفائزين السعداء.

الكلمات المفتاحية: حوار، أهل النار، دار القرار، هدايات.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لخير مِلَّة، واصطفانا من بين الأمم فجعلنا خير أُمة، أحمده سبحانه وأشكره على نعمة العظيمة وآلائه الجمَّة، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً ومن تمسك بها كانت له نجاةً وعِصمة، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله آتاه الله الكتاب والحكمة، وبعثه للعالمين رحمة، صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديهم واتبعه.

أمَّا بعد: فمنذ سطع نور الإسلام على الدنيا أدرك المسلمون طبيعة دينهم وعالمية رسالته، فقاموا يدعون الناس إلى هديه، فبدأ الحوار بين المسلمين ومشركي قريش، وسجل القرآن في آياته الكثير من هذه الحوارات، وتولى فيها الرد على المشركين.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم عرض الحوار بأسلوب متميز؛ ليسترعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العِبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في عِدَّة مواضع من كتابه عزَّ وجل.

وقد جرت تلك المحاورات بين أطراف متعددة، كلها تعطي لنا دروسًا كثيرة، وتشعرنا بأهمية هذا الأسلوب، فنجد حوارات متعددة في القرآن الكريم، منها محاورات كان أحد طرفيها ربُّ العزة تبارك وتعالى، كما في حاور الله تعالى مع الملائكة وإبليس، وجرت حوارات على ألسنة الرسل مع أقوامهم، وعلى ألسنة المؤمنين مع الطواغيت، وعلى ألسنة الأتباع والمتبوعين، وعلى ألسنة الضعفاء والمستكبرين، وعلى لسان إبليس مع أتباعه، وعلى لسان الكفار مع أعضائهم.

وسوف أتناول في بحثي هذا أحد أنواع الحوار الواردة في التنزيل العزيز أَلاَ وهو: حوار الكفار في دار القرار؛ لأن الحوار في الآخرة تارةً يكون مظهرًا من مظاهر النعيم كحواره سبحانه وتعالى مع أهل الجنة، وتارةً يكون مظهرًا من مظاهر العذاب كحوار أهل النار في دار القرار.

مشكلة البحث:

عُنِيَ القرآن الكريم بموضوع الحوار بمختلف أنواعه وصوره بوجهٍ عام، ومن ذلك على وجه الخصوص: حوار أهل النار في دار القرار، وهذا الحوار هو لونٌ من ألوان العذاب الذي يُقاسيه أهل النار، فهو حوار توبيخ وتقريع وهم يتقلبون في العذاب المقيم. وهذا الحوار قد تعددت مواضعه في القرآن الكريم، ولا ريب أن في ذلك عبرٌ وعِظات، وهدايات ودلالات تحتاج إلى إبراز وبيان يؤكد على عظمة القرآن.

أهداف البحث:

1- تعريف الحوار وبيان الفرق بينه وبين مرادفاته الواردة في القرآن الكريم.
2- دراسة هذا الموضوع من الناحية التفسيرية بإظهار هداياته وإبراز دلالاته.

3- خدمة كتاب الله تعالى من خلال هذا الموضوع الذي يُبيِّن عظمة هذا التنزيل العزيز.

أهمية موضوع البحث:

1- عناية القرآن الكريم بموضوع الحوار بصورةٍ عامة، وبحوار أهل النار بعضهم لبعض في دار القرار بصورة خاصة.

2- هذا الموضوع لم يسبق دراسته على حد اطلاعي وعلمي.

3- أن التفسير الموضوعي أحد أساليب التفسير التي تُبرز الهدايات الربانية من خلال تدبر الآيات القرآنية.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أسلك في إعداده المنهج الاستقرائي التحليلي، وفق الإجراءات الآتية :

1. كتابة الآيات بالرسم العثماني، وذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث .
2. بيان معنى الآيات الكريمة بصورة إجمالية، وإبراز هدايات الآيات، واستخراج دلالاتها.
3. الرجوع إلى المصادر المتقدمة، مع الاستفادة من الدراسات المعاصرة.
4. الاقتصار في الحاشية على اسم الكتاب والجزء والصفحة، وبقية البيانات ذكرتها في فهرس المصادر والمراجع.
5. تخريج الأحاديث الواردة من مصادرها، وبيان حكمها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.
6. لم أعرف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ مراعاةً للإيجاز الذي يتناسب مع هذا النوع من الأبحاث.

الدراسات السابقة:

كثير من الباحثين تناول موضوع الحوار بالدراسة، غير أنني لم أقف –على حد اطلاعي وعلمي- على دراسة علمية تناولت حوار أهل النار في دار القرار، ومن هذه الدراسات التي تناولت موضوع الحوار ما يلي:

1- الحوار في القرآن قواعده وأساليبه ومعطياته، لمحمد حسين فضل الله، من إصدارات دار الملاك، بيروت.

2- أدب الحوار في الإسلام، للدكتور: محمد سيد طنطاوي، من إصدارات دار نهضة مصر، القاهرة.

3- الحوار آدابه وضوابطه، د. يحي محمد حسن زمزمي، من إصدارات دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

4- الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث: معن محمود ضمرة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس.

5- التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني، رسالة ماجستير للباحث: خالد قاسم حسين، جامعة اليرموك.

6- مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية، رسالة ماجستير للباحث: محمد عدنان القضاة، جامعة اليرموك.

7- الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث: معن عثمان ضمرة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس.

وفرقٌ بين دراستي والدراسات السابقة من جهة الموضوع والمضمون.

المبحث الأول: حوار الأتباع والمتبوعين، ويتضمن دراسة للآيات الآتية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨- 39].

ثانياً: قوله تعالى:﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٩٦ — ١٠١].

ثالثاً: قوله تعالى:﴿ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٥٩ — ٦٤].

المبحث الثاني: حوار الضعفاء والمستكبرين، ويتضمن دراسة للآيات الآتية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

ثانياً: قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ — ٣٣].

ثالثاً: قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ — ٤٨].

المبحث الثالث: حوار إبليس وأتباعه، ويتضمن دراسة لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

المبحث الرابع: حوار الكفار وأعضائهم، ويتضمن دراسة لقوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا

جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢١ – ٢٣].

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وتوصياته.

سائلاً من المولى سبحانه العون والرشاد، والتوفيق والسداد، وأن ينقع بهذه الدراسة كاتبها وقارئها، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول.

تمهيد

المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الحوار في اللغة: أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.

قال ابن فارس:"الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً..أمَّا الرجوع فيقال حار إلى رجع، قال تعالى:﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، والعرب تقول: الباطلُ في حُورٍ أيْ رَجْعٍ ونَقْصٍ، وكلُّ نقص ورجوع حُورٌ"[1].

وقال الراغب الأصفهاني:"المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور"[2].

ويقول ابن منظور:"الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء..، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة"[3].

ومِّما سبق تَبَيَّنَ أن الحوار في معناه الُّلغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادةً بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

ثانياً: الحوار اصطلاحاً:

أورد الباحثون عِدَّة تعريفات للحوار منها:

الحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجُةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي[4].

وَعُرِّفَ بأنه: نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[5].

---

[1] القزويني، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص116-117.

[2] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن** ج1، ص262.

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ج4، ص217، مادة (حور).

[4] ابن حميد، صالح بن عبدالله، **أصول الحوار وآدابه**، ص6.

[5] ديماس، محمد بن راشد، **فنون الحوار والإقناع**، ص11.

وقيل في تعريفه: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة، ويكون لنفسه موقفاً[6].

التعريف المختار:

بالنظر إلى التعريفات السابقة للحوار أرى – والله أعلم – أن التعريف المختار هو التعريف الأوَّل وذلك لما يلي:

- ذكره لأركان المحاورة.
- بيانه لأسلوب الحوار وطريقته.
- ذكره للهدف من الحوار وهو إثباتُ شيءٍ وَرَدُّ آخر.
- بَيَّنَ وسيلة الحوار وهو الكلام.
- التركيز على الفكرة بعيداً عن الذات.

المطلب الثاني:مرادفات الحوار في القرآن الكريم

استعمل القرآن الكريم عِدَّة مرادفات لكلمة الحوار، وهذه المرادفات هي:(الجدل، المناظرة، المناقشة، المحاجة)، وفيما يلي بيان لهذه المرادفات.

أوَّلاً: الجدل:

لغةً: من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه، قال ابن منظور**:**"الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً، أي: غلبته. ورجل جَدِل، إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي: خاصمه مجادلة وجدالاً، والجادل من الإبل الذي قوي ومشى مع أمه، والأجدل الصقر، ورجل جدل إذا كان قوي الخصام"[7].

اصطلاحاً: عرَّفه الجرجاني بأنه:"القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"[8].

وفي المعجم الوسيط**:**"طريقة في المناقشة والاستدلال، وهو عند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات"[9].

---

[6] النحلاوي، عبدالرحمن، **أصول التربية الإسلامية**، ص206.

[7] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ج11، ص103-105، مادة (جدل).

[8] الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات** ج1، ص74.

[9] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج1، ص111.

وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم: وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة واللدد، ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، ومثله قوله تعالى:﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ [غافر: ٥]، وقوله تعالى:﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والمراد بذلك كله الجدل على الباطل وطلب المغالبة به، لا الجدل بحثاً عن الحق وفي طلبه.

الثاني: الجدل المحمود: وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة، ومنه قوله تعالى:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: ١٢].

فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان في أن الجدال غالبًا ما يكون الرد في الخصوم، ولكن في إطار التخاصم في الكلام.

وفي القرآن ما يدل على هذا الفرق، فقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم تسعة وعشرين مرة كلها في سياق الذم، إلا في ثلاثة مواضع وهي: قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالى:﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، أمَّا بقية المواضع في القرآن الكريم فإمَّا أن تكون في سياق عدم الرضا عند الجدال وإما عدم جدواه، أو لأنه يفتقد شروطًا أساسية كطلب الحق، أو الجدال بغير علم، أو يطلقه الكفار على الرسل كما قال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣].

فالجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن الكريم على الإطلاق، وإنما قُيِّدَ بالحُسنى، كما في قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢].

ثانيًا: المناظرة:

لغةً: من النظير، أو من النظر بالبصيرة، قال ابن منظور:"والمنظر والمنظرة: ما نظرتَ إليه فأعجبك، أو ساءك ... النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك"[10].

اصطلاحاً: عرَّفها الجرجاني بقوله:" النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"[11].

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين، وحوار المناظرة يكون بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين؛ بُغية الوصول إلى بيان الحق وكشف الباطل، مع توفر الرغبة الصادقة في ظهور الحق والانصياع له.

---

[10] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ج5، ص215، مادة (نظر).

[11] الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات** ص232.

الفرق بين الحوار والمناظرة:

المحاورة أعم من المناظرة، وكل منهما حوار في الأصل؛ لأن التحاور يقتضي المجاوبة بين طرفين يتبادلان الكلام، غير أنه إذا وجد في الحوار محاجة أو مجادلة، أو خصومة، أو نزاع كان مناظرة وإذا انعدمت فيه المحاجة أو الخصومة كان محاورة.

وبناءً على ما سبق نستنتج ما يلي:

1- أن ثمَّة توافقًا بين الحوار والمناظرة، في كون كل واحد منهما محادثة بين طرفين.

2- يفارق الحوار المناظرة في كونه لا يقوم على وجود التضاد بين المتناظرين والخصومة، وإنما المناظرة هي التي تقوم على وجود التضاد بين الطرفين للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفيًا أو إيجابًا؛ بُغية الوصول إلى الصواب.

ثالثًا: المناقشة:

لغةً: والنَّقْشُ النتْفُ بالمِنْقاشِ وهو كالنَتْشِ سواء والمَنْقُوشةُ الشجّةُ التي تُنْقَشُ منها العظامُ أَي تُستخرج، وناقَشَه الحسابَ مُناقشةً ونِقاشاً استقصاه، وقد جاء في الحديث:((إذا شيك فلا انتقش))[12] أي: فلا نُزعت منه الشوكة[13]، ويأتي النِقاش أيضاً بمعنى: المحاسبة والاستقصاء، ومنه: قوله صلى الله عليه وسلم:((من نوقش الحساب هلك))[14].

اصطلاحاً: نوع من التحاور بين شخصين أو طرفين ولكنها يقوم على أساس استقصاء الحساب، وتعرية الأخطاء، وإحصائها، ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة أحد الطرفين فقط، الذي يستقصي محصيًا ومستوعبًا كل ما له على الطرف الآخر[15].

رابعاً: المحَّاجة:

لغةً: مأخوذة من الحَجُّ بمعنى: الغلبة بالحُجَّة، يُقال: حجَّه يحجُّه حجًّا: إذا غلبه على حُجَّته. والحَجُّ: كثرة الاختلاف والتردُّد، وقد حجَّ بنو فلان فلانًا إذا أَطالوا الاختلاف إليه، وتقولُ: حججتُ فلانًا إذا أَتَيْتَه مرّةً بعد مرّة فقيل: حُجَّ البيت؛ لأَنَّهم يأْتونه كلَّ سنة[16]

---

[12] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم 2887، ص390.

[13] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج6، ص، مادة (نقش).

[14] القشيري، مسلم بن الحجَّاج، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث رقم 2879، 1315/2.

[15] انظر: **الحوار الإسلامي المسيحي** ص22.

[16] انظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ج1، ص341، وابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ج2، ص228، والزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس** ج3، ص314، مادة (حجج).

اصطلاحًا: قال المناوي:"المحَّاجة: تثبيت القصد والرأي لما يصححه"[17].

وبعد هذا البيان لمصطلح والحوار ومرادافاته، يتضح أن الحوار أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات للوصول إلى حقيقة معينة.

المبحث الأول: حوار الأتباع والمتبوعي

ويتضمن دراسة للآيات الكريمة التالية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨، 39].

في هذه الآية يُبَيِّنُ الله تعالى حواراً مخيفاً بين الأمم الكافرة التي تُلقى في النار تِباعًا فيقول الله تعالى –لهؤلاء المشركين المفترين – : ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس، فلستم بِدعًا، واقتدائكم بالأمم التي سبقت في الكفر هو الذي قادكم إلى جهنم، كلما دخلت النار جماعةٌ من أهل ملة، ورأت العذاب والخزي والنكال، لعنت نظيرتها التي ضلَّت بالاقتداء بها, كما قال تعالى:﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وهكذا يلعن أصناف الكفار بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض، كما قال تعالى:﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٦ – ١٦٧].

حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم جميعًا، قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم:﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق، فآتهم عذابًا مضاعفًا من النار،كما قال تعالى:﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٦ – ٦٨].

وقوله تعالى:﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ ﴾ يَعْنِي: لكلٍ من القادة والأتباع عذابٌ مضاعفٌ من النار، ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام، فلا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

والمقصود من قوله تعالى:﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ التخويف والزجر؛ لأنه تعالى لما أخبر عن الرؤساء والأتباع أن بعضهم يتبرأ من بعض، ويلعن بعضهم بعضًا، كان ذلك سببًا لوقوع الخوف الشديد في القلب[18].

---

[17] المناوي، محمد عبدالرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف،** ج1، ص640.

[18] انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** ج8، ص203.

وهكذا حال الأمم في النار من الجن والإنس تسمع اللعنات بالتوالي مع تصاعدها وتشابكها، فاللعنات والويلات هي تحية الداخلين من جديد للسابقين إلى النار، ولكنها تحيات الغضب والغيظ، والسخط واللعنة، فالسّادة والأتباع في الكفر سواء، يدخلون النار، ويضاعف لهم العذاب، إمَّا بالإضلال وهو فعل السادة، أو بالتقليد وإهمال العقل، وهو فعل الأتباع، والتعذيب ليس تشفيًا وانتقامًا، وإنما هو بسبب كفرهم وسيئاتهم.

من هدايات الآيات:

1- الآخرة حقيقة واقعة لا مرية فيها؛ سيبعث ويحشر الخلق جميعًا، ويؤمر الكافرون بدخول جهنم؛ بسبب كفرهم وضلالهم، وكلما دخلت أمة منهم النار لعنت أختها في الكفر والضلال.

2- إذا دخل الكفار النار واجتمعوا فيها قالت الأمة الآخرة دخولاً للأمة الأولى دخولاً:﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾، وخُصَّهم بمزيد من العذاب؛ بسبب إضلالهم وإغوائهم، فيرد الله تعالى عليهم بأن لكل طائفة وجماعة منكم ضعفًا من العذاب، فلا عفو لأحدكم دون الآخر من تبعات الكفر والضلال والإغواء.

3- يتبرأ المعبودون من عابديهم، ويتبرأ العابدون من معبوديهم، وهم معًا مشتركون في العذاب، حيث يوقفون للحساب معه، ويشعرون بالحسرة والندامة والخزي والذل معهم، ويدخلون جهنم معهم، ويتقلبون في نار جهنم، ويخلدون فيها معهم، ويتحملون المسؤولية معهم.

4- قضايا العقيدة هي أهم قضايا المصير في الدنيا والآخرة، لذا ينبغي الاعتناء بهذه القضايا بيانًا ودعوةً وعملاً.

5- لا عذر لأحد في الاتباع المحض، ولا التقليد المحض الغير مبني على الحُجَّة والبرهان.

ثانياً: قوله تعالى:﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ٩٦ – ١٠١].

تعرض هذه الآيات جانبًا من حوار الكفار والمشركين في النار مع قادتهم وأوليائهم من شياطين الإنس والجن، فقالوا معترفين بخطئهم، وهم يتخاصمون معهم بسبب ضلالهم وإغوائهم، مقسمين بالله تعالى إنهم كانوا في الدنيا في ضلالٍ واضح لا خفاء فيه؛ إذ قاموا –بغفلتهم وجهلهم– بمساواة الأعلى من شياطينهم بالعبادة مع رب العالمين المستحق للعبادة وحده تبارك وتعالى.

قال ابن عاشور:"وجيء في القسم بالتاء دون الواو والباء؛ لأن التاء تختص بالقسم في شيءٍ متعجب منه، كما في قوله تعالى:﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف: ٧٣]، وقوله تعالى:﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، فهم يعجبون من ضلالهم إذ ناطوا آمالهم المعونة والنصر بحجارةٍ لا تُغنِ عنهم شيئًا؛ ولذلك أفادوا تمكن الضلال منهم باجتلاب حرف الظرفية المستعار لمعنى الملابسة؛ لأن المظروف شديد الملابسة لظرفه، وأكدوا ذلك بوصفهم الضلال بالمبين، أي: الواضح البيّن، وفي هذا تسفيةٌ منهم لأنفسهم إذ تمشَّى عليها

هذا الضلال الذي ما كان له أن يروج على ذي مُسْكةٍ من عقل[19]".

وصيغة المضارع في قوله:﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم﴾ لاستحضار الصورة الماضية، أي :تالله لقد كُنَّا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم، أو لأنا سويناكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم.

قال الألوسي في قوله تعالى:﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾:"مرتبٌ على ما اعترفوا به من عظم الجناية وظهور الضلالة. والمراد التلهف والتأسف على فقد شفيع يشفع لهم مما هم فيه، أو صديق شفيق يهمه ذلك ،وقد ترقوا لمزيد انحطاط حالهم في التأسف، حيث نفوا أولاً أن يكون لهم من ينفعهم في تخليصهم من العذاب بشفاعته، ونفوا ثانيًا أن يكون لهم من يهمه أمرهم ويشفق عليهم ويتوجع لهم وإن لم يخلصهم، والكلام كناية عن شدة الأمر بحيث لا ينفع فيه أحد ولو أدنى نفع وهو وجهٌ وجيه[20]

ثالثاً: قوله تعالى:﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٥٩ – ٦٤].

بعد أن وصف الله تعالى ثواب المتقين ومآل السعداء، وصف بعده عقاب الطاغين وحال الأشقياء، وهذه الآيات حكاية لما يُقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار وتواردوا عليها، فتقول لهم خزنة جهنم: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار ودخلوها بصحبتكم كما اقتحموا معكم في الجهل والضلال، فتكون تحيتهم لهم: لا أهلاً ولا مرحباً بكم ولا اتسعت منازلكم في النار، إنهم مقاسون حرَّ النار كما قاسيناها، وداخلوها كما دخلناها نحن، فيتلقون اللعنات والشتائم، ثم يعلل الأتباع ذلك بأنكم قدمتم لنا العذاب والضلال، فبئس المصير والمستقر والمآل لنا ولكم نار جهنم. ثم يقوم الأتباع بالدعاء على المتبوعين الضُّلاَّل بمضاعفة العذاب عليهم؛ بسبب إغوائهم وإضلالهم، ثم يقول المتبوعون الطغاة أرباب الكفر والضلال: ما لنا لا نرى أولئك الذين كنا نعدُّهم في الدنيا من الأشرار؟! يقصدون بذلك أهل الإيمان والطاعة.

قوله تعالى:﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، والفوج: الجمع الكثير من أتباع الضلال. ﴿مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾: داخل معكم النار بشدة. ﴿ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ ﴾ أي: لا سعة عليهم ولا ترحيب بهم، وهذا ما يقوله الرؤساء لأتباعهم.

قوله تعالى:﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡ﴾ قال الأتباع للرؤساء: بل أنتم أحق بما قلتم. ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَا﴾ أي الكفر.

---

[19] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، 153/19.

[20] الآلوسي، محمود شكري، **روح المعاني**، 103-102/1010.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾ المقر وهو جهنم، فلنا ولكم النار.

وقوله:﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَا﴾ علةٌ لقلب سبب الشتم إليهم، أي: لأنكم قدمتم العذاب لنا، فضمير النصب في ﴿قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ عائدٌ إلى العذاب المشاهد، وهو حاضرٌ في الذهن غير مذكور في اللفظ، مثل قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾ [ص : ٣٢]. ووقوع و﴿أَنتُمۡ﴾ قبل ﴿قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ المسند الفعلي يفيد الحصر، أي: لم يُضلنا غيركم، فأنتم أحق بالعذاب.

قال ابن كثير:"قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾: هذا إخبارٌ عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم، قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

وَقَوْلُهُ:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴾ أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض، لحقٌ لا مرية فيه ولا شَكَّ[21].

من هدايات الآيات[22]:

1- إن مصير الظالمين الكافرين شر مآب ومنقلب يصيرون إليه.

2- إنهم يصلون جهنم، أي يدخلونها، وبئس ما مهدوا لأنفسهم، أو بئس الفراش لهم، وهو ما تحتهم من النار.

3- إن شراب أهل النار الحميم والغسَّاق، والحميم: الماء الحار الشديد الحرارة، والغسَّاق: ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد.

4- كل كلام من الفريقين – الأتباع والرؤساء – فيه زيادة تبكيت وإيلام للفريق الآخر.

5- زعم الكفار في الدنيا أن أعداءهم في الدنيا وهم فقراء المؤمنين العرب أو الموالي غير العرب، كسيدنا بلال وصهيب وسلمان من أهل النار، فافتقدوهم بحسب زعمهم في النار معهم، فلم يجدوهم، فلاموا أنفسهم على خطئهم باتخاذهم سخريًا في الدنيا. وهذا لونٌ آخر من التعذيب النفسي الداخلي.

6- إن هذا التخاصم والتنازع الذي يزعج أهل النار أمرٌ واقعٌ حتمًا في النار، وهو حقٌ ثابت يجب الإيمان به.

---

[21] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، 7/97-80.

[22] انظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير** 223/23، الجزائري، جابر بن موسى، **أيسر التفاسير**، 485/4.

المبحث الثاني: حوار الضعفاء والمستكبرين

ويتضمن دراسة للآيات الكريمة التالية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

تَبْرُز وتظهر الخلائق جميعًا وتخرج من قبورهم قيامًا ووقوفًا بين يدي الله تعالى يستوي في ذلك الأبرار والفجار من الأولين والآخرين؛ ليحكم بينهم، وجاء التعبير بالماضي عن المستقبل؛ لتحقق الوقوع، فكأنه وقع وتحقق بلا أدنى ريب ولا أدنى خفاء، كما قال تعالى:﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١]. والمراد ببروزهم لله ظهورهم من قبورهم للرائين، واللام في قوله تعالى:﴿لِلَّهِ﴾ للتعليل، وفي الكلام حذف مضاف، والتقدير: لأجل حساب الله تعالى، وَجُوِّزَ أن تكون اللام صلة البروز وليس هناك حذف مضاف، والمراد: أنهم ظهورًا له تعالى عند أنفسهم، فإنهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سِرًّا أنها تخفى على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا له تعالى عند أنفسهم وعلموا أنه لا تخفى عليه جَلَّ شأنه خافية[23].

وهنا يبدأ الحوار والمناظرة بين الضعفاء والمستكبرين، فيقول الأتباع لقادتهم: إنَّا كنَّا لكم في الدنيا أتباعًا، نأتمر بأمركم، فهل أنتم اليوم دافعون عَنَّ من عذاب الله شيئًا كما كنتم تَعِدوننا؟ فيقول الرؤساء: لو هدانا الله إلى الإيمان لأرشدناكم إليه، ولكنه لم يوفقنا، فضللنا وأضللناكم، يستوي علينا وعليكم الجَزَع والصبر عليه، فليس لنا مهرب من العذاب ولا منجى.

إن هؤلاء الضعفاء يستيقظون يوم القيامة على واقعٍ مرير، وعندها يحاولون التخلص مما هم فيهن فيقولون للمستكبرين الذين اتبعوهم في كل شيء؛ ليطالبوهم بتحمل تبعاتهم في الآخرة، كما تحملوا هم تبعاتهم في الدنيا، فينطلق سؤالهم بلهجة متوسلة يائسة، تَحْمل الكثير من خيبة الأمل وعدم الثقة بالنتيجة، كما يوحي سؤالهم القائل:﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.

ولكن ما كان لهؤلاء القادة المستكبرين من موقف سوى الهروب اليائس والاستسلام للمصير؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم شيئا فضلاً عن أن يملكوا شيئاً لغيرهم! فتأتي الآية معبرة عن ذلك بأبلغ تعبير:﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[24].

قوله تعالى:﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ كنايةٌ عن صفة وهي الوقوف بين يدي الله تعالى للحساب بعد الخروج من القبور، وتقييد البروز بـ ﴿ لِلَّهِ﴾؛ لأنه تعالى هو الآمر لهذا البروز والداعي إليه، وأكد شمول البروز لكل البشر والخلائق

---

[23] انظر: الآلوسي، محمود شكري، **روح المعاني**، 194/7.

[24] انظر: فضل الله، محمد حسين، **الحوار في القرآن قواعده وأساليبه ومعطياته**، ص354.

بالحال (جميعًا)، وبين ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ و﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ طباق، ووجه بلاغته مطابقته لمقتضى الحال، وأوثر الفعل:﴿ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ على الاسم (الكبراء)؛ للإشارة إلى أنهم ادعوا العظمة، ولم يكونوا عظماء حقيقةً، والاستفهام في قولهم:﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ للعتاب والتبكيت والتوبيخ والتقريع، ومعنى التوبيخ والتبكيت يتضح من خلال بيان يأس الضعفاء، وتيقنهم بإحاطة عذاب الله تعالى بهم وبالمستكبرين؛ بدليل قول المستكبرين أنفسهم:﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ فعَلِمَ المستضعفون أن سادتهم من المستكبرين قد غروهم في الدنيا وخدعوهم وكذبوا عليهم فكان معنى استفهامهم لهم: أظهروا مكانتكم التي كنتم تدعونها وتغروننا بها في الدنيا[25].

من هدايات الآيات:

1- الإسلام يهدف إلى تحرير إرادة الإنسان من الخضوع القوة الظاهرة التي يمتلكها المترفون والمستكبرون، كسبيل من سبل تحريره من الاستسلام لأفكار هؤلاء ونزواتهم ومخططاتهم، التي لا تسير في اتجاه الخير، بل تسير في اتجاه الشر دائمًا[26].

2- تجسيد مواقف الندم واليأس في الآخرة للمستضعفين؛ ليواجهوا واقعهم الحالي، مواجهة من يشعر بملاقاة نتائج مسئوليته وحده.

3- العتاب والنزاع قائم بين أهل النار، فهذه محاورة بين القادة والأتباع تدل على عجز السادة عن تحقيق أي شيء لأتباعهم الذين اتبعوهم في الدنيا، فهم لا يستطيعون تخليص أنفسهم من عذاب الله، ولا تحقيق أي نفع لذواتهم، فالأولى ألا يتمكنون من نفع غيرهم، والكل لا يجد مهربًا ولا ملجأ من عذاب الله وعقابه على الكفر والعصيان، سواء صبروا على العذاب أو جزعوا وضجروا.

4- إقرار السادة بالضلال، والبُعد عن الهداية، فلو اهتدوا لهدوا غيرهم.

5- الحشر هنا للناس جميعاً، فيجتمع التابع والمتبوع، ويعرف التابعون رؤسائهم، فيوبخونهم ويقرّعونهم؛ لأنهم كانوا تابعين لهم تبعية مطلقة؛ ولذا أتى وصفهم بالضعفاء، فهم ضعفاء من جهة العقل والإرادة والعقيدة والحرية.

ثانيًا: قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ

---

[25] انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف**، 549/2، وأبي السعود، محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم**، 41/5، والآلوسي، محمود شكري، **روح المعاني**، 346/9، والرويني، عادل بن أحمد، **تأملات في سورة إبراهيم**، ص142-144.

[26] انظر: فضل الله، محمد حسين، **الحوار في القرآن قواعده وأساليبه ومعطياته**، ص352.

لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ – ٣٣].

لَمَّا ذكر الله تعالى الأصول الثلاثة وهي التوحيد والرسالة والحشر، وكان المشركون كافرين بها جميعًا، ذكر شأن جماعة من المشركين، أتوا بلون من التمادي في الطغيان والعناد وهو الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم، وبما أخبر به من أمر المعاد، فجاهروا بإنكار القرآن وبكل كتابٍ سبقه من الكتب السماوية السالفة، ويستتبع ذلك أنهم لا يؤمنون بما جاء فيها من البعث والحشر والحساب والجزاء، ثم ذكر صورة من الحوار الحاد بين الرؤساء المضلين والأتباع الضالين، وما يسرّونه من الحسرة والندامة حين يرون العذاب، ثم أعقبه بذكر ما سيحيق بهم من الإهانة بوضع الأغلال في الأعناق، وأن هذا جزاء لهم على ما عملوا من سيئ الأعمال، وما دسوا به أنفسهم من قبيح الخِلَال[27].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: لن نُصدّق بهذا القرآن ولا بالذي تَقَدَّمَه نزولاً من التوراة والإنجيل والزبور، فقد كذَّبَ هؤلاء الكافرين بجميع كتب الله تعالى. ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ أيها الرسول الكريم إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يتراجعون الكلام فيما بينهم، كلٌ يُلْقي بالعتاب على الآخر، وجواب ﴿لَوۡ﴾محذوف؛ للتهويل تقديره: لرأيت أمراً فظيعًا مهولاً. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون، ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾: لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكنا مؤمنين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين؛ إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم مختارين. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشرَّ لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسرَّ وأضمر كُلٌّ من الفريقين السادة والأتباع الحسرة حين رأوا العذاب الذي أُعدَّ لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقَبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا، وفي الآية تحذير شديد من متابعة دعاة الضلال وأئمة الطغيان.

فسؤال المستكبرين يوم القيامة للمستضعفين يكون سؤالاً إنكاريًا بأنهم ليسوا من صدوهم عن الإيمان، وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه، فجاء جوابهم بالإبطال:﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ

[27] المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، 84/22.

أَندَادًا﴾.

والحكمة الملموحة في هذا المشهد هي قصد إثارة الخوف والرهبة في نفوس الكفار وبخاصة التابعين الذين هم السَّواد الأعظم وفصلهم عن الزعماء. وتدل الآيات على شدة جهد الزعماء ونشاطهم في التأثير على السَّواد الأعظم، وحملهم على الإعراض عن الدعوة النبوية، ولعل هذا نظير حكمة التنزيل فيما أنذرته للزعماء بالعذاب المضاعف في آيات عديدة منها آية النحل هذه:﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

تضمنت الآية الكريمة وجوهًا من البيان والبديع من ذلك:

1- الطباق بين لفظي ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ و﴿ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وهو من المحسنات البديعية.

2- الاستعارة في قوله تعالى عنهم:﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ فليس للقرآن يدان، ولكنه استعارة لما سبقه من الكتب السماوية المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى.

3- قوله تعالى:﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ حُذِفَ الجواب للتهويل، أي: لو رأيتَ حالهم، لرأيتَ أمرًا مريعًا مهولاً.

4- قوله تعالى عنهم:﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أسند المكر إلى الليل على سبيل المجاز العقلي، أي المكر الواقع ليلاً.

5- قوله تعالى عنهم:﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ استفهام بمعنى الإنكار.

من هدايات الآيات:

1- لقد أعلن كفار قريش عدم إيمانهم بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة المتضمنة الإخبار عن أمور الغيب من البعث والحشر والحساب والجزاء.

2- أخبر الله تعالى عن حالهم من الذلة والمهانة يوم القيامة، فهم محبوسون في موقف الحساب، يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب، بعد أن كانوا في الدنيا أخلاَّء متناصرين، فحين ترى الظالمين موقوفين على تلك الحال، ترى عجبًا.

3- تكون المحاورة بين الرؤساء والأتباع شديدة حادة، فيقول الأتباع للسادة -وبدأ بهم لأنهم أولى بالتوبيخ-: لولا أنكم أغويتمونا وأضللتمونا لكنا مؤمنين بالله ورسوله وكتبه. ويردّ القادة والرؤساء على الضعفاء الأتباع بقولهم منكرين اتهامهم: ما رددناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم، بعد أن جاءكم من الله، بل كنتم أنتم مشركين مصرّين على الكفر، فأجابهم الأتباع بجواب أبلغ وأحكم: إن خديعتكم وحيلتكم وعملكم في الليل والنهار هو الذي صدّنا عن الإيمان بالله ورسوله، وهو الذي حملنا على الكفر بدعوتكم المستمرة المدبرة دوما، وكنتم تأمروننا بالكفر بالله، وبأن نجعل له أشباهاً وأمثالاً ونظراء.

وحين مجيء العذاب وبعد اليأس من الحوار أضمر الفريقان الندامة، وأخفوها مخافة الشماتة، وهذا معنى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ وقيل: معنى الإسرار: الإظهار، أي أظهروا الندامة لأن الفعل من الأضداد، يكون بمعنى الإخفاء والإبداء.

4- كان جزاء الفريقين التابعين والمتبوعين وسائر الكفار: جعل أغلال الحديد في أعناقهم في النار، وهذا جزاء حق وعدل، ولا يجازى هؤلاء إلا بسبب أعمالهم في الدنيا من الشرك بالله والإثم والعصيان.

ثالثًا: قوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ – ٤٨].

لما ذكر الله تعالى ما حلَّ بآل فرعون من العذاب والدمار، ذكر بعده النزاع والخصام الذي يكون بين أهل النار، فهذا عرضٌ آخر للنار وما يجري فيها بعد العرض الذي كان لآل فرعون في النار، يعرض على كفار قريش ليشاهدوا مصيرهم من خلاله إذا لم يتوبوا إلى الله من الكفر والتكذيب والشرك.

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾: وإذ يتخاصم أهل النار، ويعاتب بعضهم بعضًا، فيحتجُّ الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم، وزيَّنوا لهم طريق الشقاء قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار بتحملكم قسطًا من عذابنا؟

قال الرؤساء المستكبرون مبيِّنين عجزهم: لا نتحمل عنكم شيئًا من عذاب النا، وكلُّنا معاً في النار، لا خلاصَ لنا منها، إن الله قد قسم بيننا العذاب بقَدْر ما يستحق كلٌّ منا بقضائه العادل.

من هدايات الآيات:

1- بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين.

2- التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.

3- عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله.

4- عدم قبول المعذرة يوم القيامة.

5- عدم استجابة الدعاء في النار.

6- بيان وعد الله لرسله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره ويقرره وإن طال الزمن، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم.

المبحث الثالث: حوار إبليس وأتباعه

ويتضمن دراسة لقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

لَمَّا ذكر الله تعالى محاورة الأتباع لرؤسائهم الكفرة، ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال والإغواء.

هذه هي الخطبة البتراء التي يخطب بها إبليس في محفل الأشقياء في جهنم يوم القيامة، حينما يقف الشيطان يوم القيامة بشخصيته المستكبرة الطاغية، ويلتف حوله أتباعه محاورًا إياهم، مُوَجِّهاً إليهم خطبته بكل فاجعة يصبها على أوليائه فيزيدهم حُزْناً إلى حُزْنهم، وغَبناً إلى غبْنهم، وحسرةً إلى حسرتهم، بعد أن قضى الأمر، وفات الأوان، وقد عرف أتباعه مصيرهم ومآلهم، كما عرفوا شخصيته واضحةً جليَّةً.

وجاء الحوار في هذا الموقف متتابعًا سريعًا في صورة جُمَل قصيرة، ينبعث منها أحاسيس التبكيت والطعن والتخلي والضعف؛ فكل فقرة هي طعنة أليمة نافذة حيث لا يملك الأتباع أن يردوها عليه، إنه يخزيهم ويصمهم بالتقصير، ليس لهم عليه من سلطان، ولأنهم ضعاف الشخصية لا إرادة لهم، يؤنبهم ويدعوهم لتأنيب أنفسهم، معلنًا التبرؤ منهم، مظهرًا الكفر بإشراكهم به، فينفي إغواءه وإضلاله لهم بقدرة منه على ذلك، وإنما حصل ذلك بإرادتهم واختيارهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧]، والقرين هو الشيطان، بدليل قوله تعالى:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

ويُنهي الشـــيطان خطبته ناقلاً لأتباعه قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقال إبليس ذلك؛ قطعاً لأطماع الكفار من الإغاثة والنجاة من العذاب، وإنما حكى الله تعالى ذلك عنه؛ ليكون تنبيهاً للسامعين، وحضًّا لهم على النظر في عاقبة أمرهم، والاستعداد لذلك اليوم الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غَيِّهم ويتذكروا هول ذلك الموقف ورهبته[28].

قوله تعالى:﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾: تعين قوم للجنة وقوم للنار، وذلك كله في الموقف، وعليه يدلُّ حديث الشفاعة، أو بعد حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، والشيطان مسلَّطٌ على بني آدم بلا شك، وقد نهانا الله تعالى عن أن نتخذه وليّاً، وأمرنا أن نعاديَهُ فقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٱلنَّاسُ﴾ [فاطر:6] لكن الشيطان لم يكن ليبلغ فينا ما بلغ؛ لولا أنه وجد عندنا قابلية للفسق والانحلال والعصيان، قال الله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى

[28] المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، 146/13.

ﭐلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل:99-100]، إذاً الشيطان لم يكن ليحقق فينا ما يريد، لولا أنه وجد عندنا استجابة، ولذلك الشيطان يوم القيامة يقوم خطيباً في أتباعه، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾، إذاً الذي يحتج بكيد الشيطان قد أصاب من جانب فالشيطان يكيد، لكنَّه غفل عن الجانب الآخر؛ وهو أن القابلية لهذا الكيد موجودة عنده، فإن لم تكن موجودة فإن كيد الشيطان حينها يكون ضعيفاً هزيلاً كما قال تعالى:﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

تضمنت الآية الكريمة وجوهًا من البيان والبديع من ذلك:

1- خُصَّ إبليس بالإفراد بالجواب فقيل:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾؛ لأنه أعظم المستكبرين، وأول المتبوعين في الضلال، وقوله:﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ يجوز أن يكون من باب إضافة الصفة للموصوف لصفته كقوله تعالى:﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩] مبالغة في الانصاف، والتقدير: وعدكم وعد الحق الذي لا نقض له[29].

2- تأكيد كلام إبليس بـ ﴿إِنَّ﴾ واسمية الجملة؛ لتقرير مضمونها، والتعبير باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾؛ مبالغة في زيادة ندم أهل النار وغمّهم وحزنهم وحسرتهم.

3- في هذه الآية مقابلة بين قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾، وقوله:﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾، وأظهرت المقابلة مدى خداع لإبليس لأتباعه، وكذبه عليهم في الدنيا من خلال وسوسته لهم[30].

4- الفاء في قوله: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ تدلُّ على سرعة الاستجابة من الكفار والعصاة إلى وسوسة إبليس، وتدلُّ السين والتاء على الطلب، فسوسة إبليس وجدت من هو طالب لها راغب فيها، وكأنهم كانوا يجدُّون مجتهدين فب الاستجابة لوسوسة إبليس اللعين[31].

في الآيات توكيد ضمني لمعنى متكرر في القرآن وهو حرية الناس في الاختيار واستحقاقهم لمصائرهم وفقاً لهذا الاختيار.

من هدايات الآيات:

1- المقصود بخطاب الشيطان للكفار دمغ الكفار بدمغة اتباع الشيطان الذي له في أذهانهم صورة بغيضة، وتقرير كون الشيطان نفسه سوف يتبرأ منهم يوم القيامة، وفي هذا غاية التقريع والتبكيت[32].

2- الذي يحتج بكيد الشيطان قد أصاب من جانب فالشيطان يكيد، لكنه غفل عن الجانب الآخر؛ وهو

[29] انظر: ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، **اللُباب في علوم الكتاب**، 369/11.

[30] انظر: الرويني، عادل أحمد، **تأملات في سورة إبراهيم**، ص149.

[31] انظر: **المرجع السابق**، ص151.

[32] دروزة، محمد عزة، **التفسير الحديث**، 228/5-229.

أن القابلية لهذا الكيد موجودة عنده، وإلا فإن كيد الشيطان كان ضعيفًا.

3- أعقب الله المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس، بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس، وموضوع المناظرتين واحد: وهو تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان كان أصدق في هذه المحاورة من الإنسان؛ لأنه أعلن أن الله تعالى وعد الناس وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال، فَوَفَّى لهم بما وعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك وأنه لا بعث ولا جزاء، فأخلف الوعد، فكانت مواعيد الشيطان باطلة، ووعد الله هو الحق، واتبع الناس قول الشيطان بلا حجة ولا برهان، وتبرأ الشيطان منهم ومن عملهم، فليس لهم لوم عليه، إنما عليهم اللوم، وأيأسهم بأنه لا نصر عنده ولا عون ولا إغاثة، بل هو محتاج إلى من ينصره، وكفر بشركهم له في الدنيا، وهذا تنبيه لهم مما سيلقونه من العذاب الأليم لا مردَّ له، جزاء ظلمهم وكفرهم؛ فالعصيان والكفر باختيارهم وكسبهم[33].

4- ليس هناك سلطة للإضلال حتى للشيطان، بل كل دوره أن يوسوس ويثير ويدعو الإنسان للاستجابة له، ويبقى للإنسان – بعد ذلك – دوره في التفكير والمقارنة بين دعوة الله وبين دعوة الشيطان، فالإنسان قبل أن يُلقي اللوم على الشيطان، عليه أن يُلقي اللوم على نفسه أولاً؛ لأنه هو الذي سلك طريق الشيطان باختياره وإرادته. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، ص158-159.

5- إبطال التقليد في الاعتقاد؛ لأن الكافرين اتبعوا الشيطان بمجرد دعواه ولم يطلبوا منه برهاناً، فحكى الله تعالى قوله؛ تقبيحًا لذلك الفعل منهم[34].

6- تكرار حكاية عتاب الضعفاء للزعماء والكبار والمحاورة بينهما بين يدي القضاء الرباني الأُخْرَوِي؛ مما يدل على ما كان لهؤلاء على أولئك من تأثير، والمتبادر أنها تستهدف حمل الضعفاء على ليّ وجوههم عن الزعماء، وجعلهم يدركون أنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئًا[35].

المبحث الرابع :حوار الكفار وأعضائهم

ويتضمن دراسة لقوله تعالى:﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢١ – ٢٣].

لما انتهت الآيات من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة من قبلهم، وإنذارهم بعذابٍ يحل بهم في الدنيا كما حل بأولئك؛ ليكون لهم ذلك عبرةً، فإن لاستحضار المثل والنظائر أثرًا في النفس تعتبر به ما لا تعتبر بوصف المعاني

---

33 انظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، 239/13-240.

34 السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **الإكليل في استنباط التنزيل**، ص158-159.

35 دروزة، محمد عزة، **التفسير الحديث**، 228/5.

العقلية، انتقلت إلى إنذارهم بما سيحِلُّ بهم في الآخرة[36].

فلم يقتصر القرآن الكريم على تهديد الكافرين والمشركين بعذاب الهوان والإذلال في الدنيا، وإنما جاء التهديد فيه بعذاب الآخرة الذي هو أشد وأنكى، وأدوم وأبقى، ووصف الله تعالى هؤلاء المهدَّدين بأنهم أعداء الله، أي الكفار المخالفون لأمره، وذلك ليكون التهديد أتم في الزجر والتحذير، وحمل المعادي على الصلاح والاستقامة، والرشد والهداية، ومن هدّد أو أنذر فقد أعذر، ولم يبق مجال للوم والندم، ومحاولة العدول عن الشر والضلال، في يوم لا ينفع فيه الندم، ولا يقبل فيه الإيمان والصلاح، وهذا ما أبانته الآيات الشريفة[37].

وَلَمَّا كان الإنسان من عادته وطبيعته النسيان والجحود كان الحساب يوم القيامة بشهادات وبينات مختلفة؛ فالملائكة تشهد، قال تعالى:﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:10-11]، والأرض تشهد بما عمل ابن آدم على ظهرها من خير أو شر، قال تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة:٤]، والصحف والكتب تشهد، قال تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء:13]، والجوارح تشهد، قال تعالى:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور:24]، وقال تعالى:﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥] والجلود تشهد، قال تعالى:﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت:21]، وفوق كل ذلك شهادة الحق تبارك وتعالى ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:79].

وفي كيفية تلك الشهادة ثلاثة أقوال:

الأول: أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه.

والثاني: أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني.

الثالث: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات كما يقال: يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه[38].

والاستفهام في قولهم:﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ مستعملٌ في الملامة، وهم يحسبون أن جلودهم لكونها جزءًا منهم لا يحق لها شهادتها عليهم؛ لأنها تجرُّ العذاب إليها. وقول الجلود:﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ ﴾ اعتذارٌ بأن الشهادة جرت منها بغير اختيار. وقولهم:﴿ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ تمجيدٌ وتعظيم لله تبارك وتعالى. قوله تعالى:﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي: تستخفون عند الإقدام على الأعمال القبيحة. وقال مجاهد: تتقون، وقال قتادة: تظنون. قوله تعالى:﴿وَمَا كُنتُمْ

---

[36] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، 264/24.

[37] انظر: طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط**، 2299/3.

[38] انظر: ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي، **اللُباب في علوم الكتاب**، 126/17.

﴿تَسۡتَتِرُونَ﴾ أي: تستخفون عند الإقدام على الأعمال القبيحة. وقوله تعالى:﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ ﴾ أي: ظنكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: أهلككم. ﴿فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ : هذا نص صريح في أن من ظن أنه يخرج شيء من المعلومات عن علم الله تعالى فإنه يكون من الهالكين الخاسرين[39].

تضمنت الآيات الكريمة وجوهًا من البيان والبديع من ذلك:

1- التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى:﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ لاستحضار حالتهم فإنهم ساعتئذٍ في قبضة تصرف الله مباشرة، وأمَّا رجوعهم بمعنى البعث فإنه قد مضى بالنسبة لوقت إحضارهم عند جهنم، أو يكون المراد بالرجوع إلى ما ينتظرهم من العذاب[40].

2- الاستتار: مستعمل في الإخبار مجازًا؛ لأن حقيقة الاستتار إخفاء الذوات، والذي شهدت به جوارحهم هو اعتقاد الشرك والأقوال الداعية إليه، وحرف (ما) نفي؛ بقرينة بعده:﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[41].

3- ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ﴾ إشارة إلى الظن المأخوذ من فعل ﴿ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، ويستفاد من الإشارة إليه: تمييزه أكمل تمييز وتشهير شناعته للنداء على ضلالهم، وأتبع اسم الإشارة بالبدل بقوله:﴿ ظَنُّكُمُ ﴾؛ لزيادة بيانه، ليتمكن ما يعقبه من الخبر، والخبر هو فعل ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ وما تفرَّع عليه[42].

4- ﴿ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ﴾ صِفَةٌ لِـ ﴿ظَنُّكُمُ﴾. والاتيان بالموصول؛ لِمَا في الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو ﴿ أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ وما تفرَّع عليه، أي: الذي ظننتم بربكم ظنًا باطلاً، والعدول عن اسم الله العلم إلى ﴿بِرَبِّكُمۡ﴾؛ للتنبيه على ضلال ظنهم، إذ ظنوا خفاء بعض أعمالهم عن علمه، مع أنه ربهم وخالقهم، فكيف يخلقهم وتخفى عنه أعمالهم، وهو يشير إلى قوله تعالى:﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، ففي وصف﴿چ﴾ إيماءٌ إلى هذا المعنى[43].

من هدايات الآيات[44]:

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

2- التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

---

[39] انظر: **المصدر السابق**، 128/17-130.

[40] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، 268/24.

[41] انظر: **المصدر السابق**، 269/24-270.

[42] انظر: **المصدر السابق**، 271/24-272.

[43] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، 271/24-272.

[44] انظر: الآلوسي، محمود شكري، **روح المعاني**، 183/18.

3- التحذير من سوء الظن بالله تعالى، ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه، أو لا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

4- وجوب حسن الظن بالله تعالى، وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات، ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه، فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

5- اقتصروا في توجيه الملامة على شهادة الجلود؛ لأن الجلد يحوي جميع الجسد؛ لتكون شهادة الجلود عليهم شهادةً على أنفسها، فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر؛ ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم؛ لأنها حاويةٌ لجميع الحواس والجوارح.

6- أن المدافعة عن الجلود أزيد من المدافعة عن السمع والبصر؛ فإن جلد الإنسان الواحد لو جُزِّئَ لزاد على ألف سمع وبصر، وهو يدافع عن كل جزء ويحذر أن يصيبه ما يشينه فكانت الشهادة من الجلود عليهم أعجب وأبعد عن الوقوع[45].

7- جوارحهم تقول لهم يوم القيامة على سبيل التبكيت: أنتم- أيها الكافرون- لم تكونوا في الدنيا تخفون أعمالكم السيئة، خوفاً من أن نشهد عليكم، ولكنكم كنتم تخفونها؛ لاعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم ما تخفونه من أعمالكم، ولكنه يعلم ما تظهرونه منها، وما حملكم على هذا الاعتقاد الباطل إلا جهلكم بصفات الله تعالى، وكفركم باليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء، واستبعادكم أننا سنشهد عليكم.

8- يُجْمَعُ الكافرون جمعًا واحدًا يوم القيامة، فَيُحْبَسُ أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ثم يساقون ويدفعون جميعًا إلى جهنم.

9- إذا جاءوا إلى النار شهدت عليهم جوارحهم وأسماعهم وأبصارهم وجلودهم، وكيفية الشهادة: أنه تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها، فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه، وهذا هو الظاهر المناسب للآية بعدها، وقيل: أن يظهر على تلك الأعضاء أمارات وأحوال تدل على صدور تلك الأعمال من الإنسان.

10- يتعجب الكفار من شهادة أعضائهم عليهم، فيسألونهم: لِمَ شهدتم علينا، وإنما كنا نجادل عنكم؟ فيجيبون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، فالذي قدر على إحيائكم في المرة الأولى في الدنيا ثم إعادتكم أحياء في الآخرة، قادر على أن ينطق الجلود وغيرها من الأعضاء، يجيبون أيضًا: ما كنتم تستخفون من أنفسكم، حذرًا من شهادة الجوارح عليكم؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية، ولقد ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا من أعمالكم، فجادلتم على ذلك، حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم، وإن ظنكم أن الله لا يعلم كثيرًا من أعمالكم هو الذي أهلككم فأرداكم النار.

---

[45] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** 24/273-276، وطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط** 12/343-344، والزحيلي، وهبة مصطفى، **التفسير المنير**، 24/214-215، والجزائري، جابر موسى، **أيسر التفاسير**، 4/571.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد ولد أجمعين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فبعد هذا التأمل والتفكر في هذه الآيات الكريمة، والعيش في ظِلالها والاستضاءة بهداياتها ودلالاتها، أضع أهم نتائج البحث، وهي:

1- الحوار أوسع مدلولاً من الجدال والمناظرة والمحاجَّة، التي غايتها إلزام الطرف الآخر في مقام الاستدلال؛ من أجل الوصول إلى الصواب.

2- المخاصمة نوعٌ من الحوار الذي يتم في جو من التشاحن بين طرفين، وهي تختلف عن صور الحوار الأخرى التي يُراعي فيها آداب الحوار، وتتم في جو من الألفة، وتتسم الموضوعية والعقلانية.

3- حوار الكفار في الآخرة يتضمن تحذيرًا شديدًا من التبعية المطلقة لغير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فلا بُدَّ من الاهتداء للحق الذي جاء عن الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- حوارات الآخرة قوية بذاتها وجزيلة بألفاظها وبديعة بصورها ومعانيها.

5- حوار أهل النار في دار القرار يحمل طابع التوبيخ والتقريع، والحسرة والندامة، والتشفي وانتقام بعضهم من بعض، وهو من صور العذاب المعنوي لهم في النار، بالإضافة إلى عذابهم بألوان العذاب الحسي، نسأل الله السلامة والعافية.

6- حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر أخذ حيزًا كبيرًا من آيات القرآن؛ ممَّا يُبيِّن أهمية التأمل والتفكر في مشاهده وصوره وأحواله.

7- الحذر من التقليد الأعمى واتباع الهوى، فهما من أعظم السباب الهلاك والردى.

8- هداية القرآن الكريم للتي هي أقوم، ومن صور هذه الهداية: إيراد حوارات أهل النار في دار القرار؛ ليستبين أهل العقول والإيمان بأسباب عذاب أولئك الأشقياء، فيأخذوا بأسباب نجاتهم ليكونوا من الفائزين السعداء.

9- خلود الكفار في النار كما دلت عليه الآيات الكريمة في عِدَّة مواضع من كتاب الله تعالى؛ ممَّا يدل على تأبيد النار وعدم فنائها.

10- لَمَّا كان اجتماع أهل النار في الدنيا على باطل، واتفاقهم على ضلالة؛ تفرق ذلك الاجتماع يوم القيامة، وتفككت تلك العلاقات والروابط التي كانت لغير الله عَزَّ وجل، وانقلبت تلك المحبة والموالاة إلى عداوة وبغضاء.

وختامًا: أوصي بدراسة حوارات الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، واستلهام الدروس والعِظات والعِبر والهدايات منها.

(المصادر والمراجع) REFERENCES

[1] Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad, taḥqīq : Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī wa Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, (Bayrūt, al-Maktabah al-ʻIlmīyah, 1399h-1979m).

[2] Ibn Ḥamīd, Ṣāliḥ ibn Allāh, uṣūl al-Ḥiwār wa-ādābuh fī al-Islām, (Jiddah, Dār al-Manārah, Ṭ1, 1415h-1994m).

[3] Ibn ʻĀdil al-Ḥanbalī, ʻUmar ibn ʻAlī, alulbāb fī ʻulūm al-Kitāb, taḥqīq : ʻĀdil Aḥmad ʻAbd al-Mawjūd wa ʻAlī Muḥammad Muʻawwaḍ, (Bayrūt, Ṭ1, 1419H, 1998M).

[4] Ibn ʻĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, (Tūnis, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, 1984h).

[5] Ibn Fāris, Muʻjam Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (Dār al-Fikr, 1399h-1979m).

[6] Ibn Kathīr al-Dimashqī, Ismāʻīl ibn ʻUmar, al-Bidāyah wa-al-nihāyah, (Dār al-Fikr, 1407h-1986m).

[7] Ibn Kathīr al-Dimashqī, Ismāʻīl ibn ʻUmar, tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, taḥqīq : Sāmī al-Salāmah, (al-Riyāḍ, Dār Ṭaybah, ṭ2, 1420h-1999m).

[8] Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd, Sunan Ibn Mājah, taḥqīq : Shuʻayb al-Arna'ūṭ wa-ākharūn, (Bayrūt, Dār al-Risālah al-ʻĀlamīyah, Ṭ1, 1430h-2009m).

[9] Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, Lisān al-ʻArab, (Bayrūt, Dār Ṣādir, ṭ3, 1414h).

[10] Abū al-Saʻūd, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá, Irshād al-ʻaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, (Bayrūt, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, D. Ṭ, D. t).

[11] Abū ḥyyān al-Andalusī, Muḥammad ibn Yūsuf, al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, taḥqīq : Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (Bayrūt, Dār al-Fikr, 1420h).

[12] al-Ālūsī, Maḥmūd Shukrī, Rūḥ al-maʻānī fī tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm wa-al-Sabʻ al-mathānī, taḥqīq : ʻAlī ʻAbd al-Bārī ʻAṭīyah, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Ṭ1, 1415h).

[13] Bābānī al-Baghdādī, Ismāʻīl ibn Muḥammad, Hadīyah al-ʻārifīn Asmā' al-mu'allifīn wa-āthār al-Muṣannifīn, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, D. Ṭ, D. t).

[14] al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl, al-Jāmiʻ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ʻalayhi wa-sallam wsunnh wa-ayyāmuh, (al-Riyāḍ, Maktabat al-Rushd, ṭ2, 1427h-2006m).

[15] al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʻūd, Maʻālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān, taḥqīq : ʻAbd al-Razzāq al-Mahdī, (Bayrūt, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, Ṭ1, 1420h).

[16] al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʻĪsá, al-Jāmiʻ al-ṣaḥīḥ = sunn al-Tirmidhī, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākir wa-ākharūn, (Bayrūt, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, D. Ṭ, D. t).

[17] Aljurjāny, ʻAlī ibn Muḥammad, altʻryfāt, (Bayrūt, Lubnān, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Ṭ1, 1403h-1983m).

[18] al-Jazā'irī, Jābir ibn Mūsá, Aysar al-tafāsīr lklām al-ʻAlī al-kabīr, (al-Madīnah al-Munawwarah, ṭ5, 1424h-2003m).

[19] al-Khāzin, ‘Alī ibn Muḥammad, lubāb al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl, taḥqīq : Muḥammad ‘Alī Shāhīn, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1415h).

[20] al-Dāwūdī, Muḥammad ibn ‘Alī, Ṭabaqāt al-mufassirīn, taḥqīq : Sulaymān ibn Ṣāliḥ alkhzy, (al-Madīnah al-Munawwarah, Maktabat al-‘Ulūm wa-al-Ḥikam, Ṭ1, 1417h-1997m).

[21] Darwazah, Muḥammad ‘Azzah, al-tafsīr al-ḥadīth, (al-Qāhirah, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, 1383h).

[22] Darwīsh, Muḥyī al-Dīn ibn Aḥmad, i‘rāb al-Qur’ān wa-bayānih, (Dimashq, Dār Ibn Kathīr, ṭ4, 1415h).

[23] al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, al-Kāshif fī ma‘rifat min la-hu riwāyah fī al-Kutub al-sittah, (Jiddah, Dār al-Qiblah al-Islāmīyah, 1413h-1992m).

[24] al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, Siyar A‘lām al-nubalā’, (Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah, ṭ3, 1405h-1985m).

[25] al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar, al-tafsīr al-kabīr = Mafātīḥ al-ghayb, (Bayrūt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, ṭ3, 1420h).

[26] al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, taḥqīq : Ṣafwān al-Dāwūdī, (Dimashq, Dār al-Qalam, Ṭ1, 1412h).

[27] al-Ruwaynī, ‘Ādil Aḥmad, (Dubayy, Jā’izat Dubayy al-Dawlīyah lil-Qur’ān al-Karīm, Ṭ1, 1434h-2013m).

[28] al-Zubaydī, Muḥammad ibn Muḥammad, Tāj al-‘arūs min Jawāhir al-Qāmūs, (Bayrūt, Lubnān, Dār al-Fikr, Ṭ1, 1414h).

[29] al-Zuḥaylī, Wahbah ibn Muṣṭafá, al-tafsīr al-munīr fī al-‘aqīdah wa-al-sharī‘ah wa-al-manhaj, (Dimashq, Dār al-Fikr al-mu‘āṣir, ṭ2, 1418h).

[30] al-Zuḥaylī, Wahbah ibn Muṣṭafá, al-tafsīr al-Wasīṭ, (Dimashq, Dār al-Fikr, Ṭ1, 1422h).

[31] al-Zarkashī, Muḥammad ibn Allāh, al-burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (al-Qāhirah, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, Ṭ1, 1376h, 1957m).

[32] Alzzirikly, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd, al-A‘lām, (Bayrūt, Lubnān, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, ṭ15, 200m).

[33] al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, Asās al-balāghah, taḥqīq : Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, (Bayrūt, Lubnān, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1419H, 1998M).

[34] al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, (Bayrūt, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, ṭ3, 1407h).

[35] al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, al-iklīl fī istinbāṭ al-tanzīl, taḥqīq : Sayf al-Dīn ‘Abd al-Qādir al-Kātib, (Bayrūt, 1401h-1981m).

[36] al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, aldur al-manthūr, (Bayrūt, Dār al-Fikr, D. Ṭ, D. t).

[37] al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, bughyh al-wu‘āh fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wālnuḥāh, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (Ṣaydā, Lubnān, D. Ṭ, D. t).

[38] al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Ṭabaqāt alḥuffāẓ, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, D. Ṭ, D. t).

[39] al-Suyūṭī, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Ṭabaqāt al-mufassirīn, (al-Qāhirah, Maktabat Wahbah, D. Ṭ, D. t).

[40] al-Sha‘rāwī, Muḥammad Mutawallī, tafsīr al-Sha‘rāwī, (al-Qāhirah, Maṭābi‘ Akhbār al-yawm, D. Ṭ, 1997m).

[41] al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī, Fatḥ al-qadīr al-Jāmi‘ bayna Fannī al-riwāyah wa-al-dirāyah min ‘ilm al-tafsīr, (Dimashq, Dār Ibn Kathīr, Ṭ1, 1414h).

[42] al-Shaybānī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal, al-Musnad, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākir, (al-Qāhirah, Dār al-ḥadīth, Ṭ1, 1416h-1995m).

[43] al-Shīrāzī, Ismā‘īl ibn Muḥammad, Ṭabaqāt al-fuqahā’, (Bayrūt, Dār al-Qalam, D. Ṭ, D. t).

[44]

[45] al-Ṣābūnī, Muḥammad ibn ‘Alī, Ṣafwat al-tafāsīr, (al-Qāhirah, Dār al-Ṣābūnī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1, 1417h-1997m).

[46] al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān, taḥqīq : D. ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, (al-Qāhirah, Dār Hajar, Ṭ1, 1422h-2001m).

[47] Ṭanṭāwī, al-tafsīr al-Wasīṭ, Muḥammad Sayyid, (al-Qāhirah, Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1, 1998M).

[48] ‘Ajak, Bassām ibn Dāwūd, al-Ḥiwār al-Islāmī al-Masīḥī, (Dār Qutaybah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Ṭ1, 1418h, 1998M).

[49] Faḍl Allāh, Muḥammad Ḥusayn, al-Ḥiwār fī al-Qur’ān qawā‘iduhu wa-asālībuh wa-mu‘ṭīyātih, (Bayrūt, Dār al-Malāk, ṭ5, 1417h-1996m).

[50] al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb, albulghh fī tarājim a’immat al-naḥw wa-al-lughah, (Dār Sa‘d al-Dīn lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Ṭ1, 1421h-2000m).

[51] al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb, al-Qāmūs al-muḥīṭ, taḥqīq : Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah bi-ishrāf : Muḥammad Na‘īm al‘rqsūsy, (Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, ṭ8, 1426h-2005m).

[52] al-Qāsimī, Muḥammad Sa‘īd ibn Qāsim, taḥqīq : Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1418h).

[53] al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, (al-Qāhirah, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, ṭ2, 1384h-1964h).

[54] Kaḥḥālah, ‘Umar Riḍā, Mu‘jam al-mu’allifīn, (Bayrūt, Maktabat al-Muthanná, D. Ṭ, D. t).

[55] L‘sākr, Yūsuf ibn ‘Umar, al-jadal fī al-Qur’ān, Risālat mājistīr, Jāmi‘at al-Jazā’ir.

[56] al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafá, tafsīr al-Marāghī, (Miṣr, Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, Ṭ1, 1365h-1946m).

[57] al-Maṭ‘anī, ‘bdāl‘ẓym Ibrāhīm, (al-Qāhirah, Maktabat Wahbah, Ṭ1, 1420h, 1999M).

[58] al-Mu‘jam al-Wasīṭ, ta’līf : Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah bi-al-Qāhirah, al-Mu‘jam al-Wasīṭ, (Dār al-Da‘wah, D. Ṭ, D. t).

[59] al-Munāwī, Muḥammad ibn ‘bdālr’wf, al-Tawqīf ‘alá muhimmāt al-ta‘ārīf, taḥqīq : D. Muḥammad Raḍwān al-Dāyah, (Bayrūt, Lubnān, Dār al-Fikr, Ṭ1, 1410h).

[60] al-Nisā’ī, Aḥmad ibn Shu‘ayb, alsunn al-Kubrá, (Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Ṭ1, 1411h-1991m).

[61] al-Nawawī, Yaḥyá ibn Sharaf, al-Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim, (Bayrūt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, ṭ2, 1392h).

[62] al-Nīsābūrī, Muslim ibn alḥjjāj, (al-Riyāḍ, Dār Ṭaybah, Ṭ1, 1427h-2006m).